الفصل الأول

جامعات العصر الوسيط : مقدمة تاريخية

تمهيـــد :

كان قيام الجامعات فى القرون الوسطى أقصى قمة تعليمية . وهى تعتبر النموذج التاريخى للجامعات بمفهومها الحديث . ومع أن مصر القديمة ومن بعدها العالم اليونانى والرومانى عرفت معاهد التعليم العالى فإن العصور الوسطى هى التى أخرجت لنا الجامعة كما نعرفها اليوم . ويميل مؤرخو التربية إلي اعتبار جامعة «بولونيا» الإيطالية التى أنشئت فى أواخر القرن الثانى عشر وكانت مركزا هاما للدراسات القانونية أنها تستحق أن تلقب بأول جامعة فى الغرب مع أن بعض المعاهد كان يحمل اسم جامعة بالفعل . وفى الشرق العربى الإسلامى يعتبر الجامع الأزهر الذى أنشئ فى القرن العاشر الميلادى (٩٧٠ م) أول وأقدم جامعة إسلامية على الرغم من أنه لم يطلق عليه إسم جامعة إلا عندما أعيد تنظيمة عام ١٩٦١ .

وقد نمت الجامعات الأولى فى العصور الوسطى نموا تلقائيا . ولم يكن يخطط لإنشائها عن قصد . ولم يكن يصدر قانون بإنشائها وتنظيمها كما هو الحال اليوم . وإنما جاء نمو هذه الجامعات نتيجة النمو فى رسالتها العلمية واستحداث دراسات مثل الدراسات الرومانية والقانونية والفلسفة الأرسطوطاليسية والعلوم العربية والفنون الحرة . وينبغى أن نشير هنا إلى أن العلوم العربية كانت غذاء عقليا للجامعات الغربية طيلة العصور الوسطى . كما أخذت عنها التقاليد العلمية . وكانت المؤلفات والكتب العربية مراجع للدراسة بهذه الجامعات لفترات طويلة . وكان أعظم ما قدم العرب للحضارة الغربية مؤلفات أرسطو التى حفظوها من الضياع . كما أن جهودهم العظيمة فى ميادين العلوم الطبيعية من فيزياء وكيمياء وجراحة وطب وصيدلة وأحياء ورياضيات إلى جانب علوم الفلك والجيولوجيا والتاريخ كان لها أكبر الأثر فى إيقاظ الروح العلمية وتثبيت قواعد المنهج العلمى فى الغرب . وهكذا جاء ظهور الجامعات فى العصور الوسطى نتيجة لتولد الرغبة فى العلم والتعليم مرة أخرى بعد فترة الظلام الفكرى الذى ساد أوروبا . كما جاء ظهورها أيضا نتيجة لإتساع الميدان

العلمى والمعرفى وغنى أنشطته وبرامجه بفضل الإحتكاك بالعرب والعلماء والمفكرين اليونانين ونتيجة أيضا لظهور المدن وما صاحب ذلك من ظهور تجمعات كبيرة من السكان وما تطلبته الحياة الجديدة المتغيرة من مهن مختلفة فى الطب والقانون والفلسفة واللاهوت . ذلك أن العمران البشرى كما يقول ابن خلدون ضرورى لازدهار التعليم . ولذلك لا نجده أى التعليم يزدهر عند البدو أو الأعراب فى الصحراء .

لقد كانت المدينة فى العصر الوسيط مكانا يقصده الناس ويفد إليه كثير من الأجانب من الشرق ممن كانوا يعرفون العلوم والفلسفة . وكانت مدن السواحل والأسواق فى أوروبا مدنا عالمية كما كان الحال فى الإسكندرية وأثينا قديما . وقد ساعد ذلك على تهيئة الظروف المناسبة لإجتذاب العقل الباحث والطالب الدارس .

وفى القرن الخامس عشر كانت هناك جامعات منتشرة فى كل مدينة هامة فى أوروبا . وإلى جانب جامعة بولونيا وبادو ونابولى فى إيطاليا كانت هناك فى فرنسا جامعة باريس التى كانت تسمى «أم الجامعات» والتى تعرف الآن بجامعة السربون . وكانت هناك أيضا جامعة «مونتبليه» التى أنشأها جماعة من العرب لتعليم الثقافة العربية ونشرها . وظلت تودى رسالتها بجهود الأساتذة العرب حتى أواخر القرن الثالث عشر (١٢٨٩) عندما تحولت إلى جامعة للدراسات الطبية . وكانت هناك جامعتا تولوز وأوليانز اللتان أسستا فى القرن الثالث عشر . وفى إنجلترا كانت هناك جامعة أكسفورد (١١٨٠م) وكمبريدج (١٢٠٩م) . وفى اسكتلندا كانت هناك فى القرن الثالث عشر جامعة سانت أندروز وجلاسجو وأبردين . وفى أسبانيا كانت هناك جامعة قرطبة فى القرن العاشر وجامعة سالامانكا (١٢٢٠م) وجامعة أشبيليه التى أنشأها الفونس الحكيم سنة ١٢٥٤م وخصصها لدراسة العربية واللاتينية . وفى ألمانيا كانت أولى الجامعات هى جامعة فينا (١٣٦٥م) وكولون (١٣٨٨م) وغيرها . وفى تشيكوسلوفاكيا كانت هناك جامعة براغ التى أنشئت سنة ١٣٤٨ كما كان لكل من بولندا والمجر والسويد والدانمارك جامعات فى منتصف القرن الخامس عشر .

أما فى المشرق العربى الإسلامى فقد ظل الجامع الأزهر فى العصور الوسطى مركزا هاما للتعليم العالى واستمر كذلك حتى العصور الحديثة ، وإلى جانب الأزهر كان

هناك جامع الزيتونة فى تونس وجامع القيروان فى فز بالمغرب . وكانا مركزين دينيين للتعليم العالى على غرار الأزهر . ومن المعروف أن فترة الحكم التركى العثمانى للبلاد العربية تعتبر فترة ركود فكرى وثقافى إنعكست آثارها بقوة على كل جوانب الحياة ومنها بالطبع التعليم الجامعى . وكانت القسطنطينية مركزا للحركة السياسية والثقافية للإمبراطورية العثمانية . وكان الطلاب العرب يتوجهون إلى هناك إذا أرادوا مواصلة التعليم العالى فى مجالات الطب والعلوم . وظل الأمر كذلك حتى أنشئت الكلية السريانية والبروتستانتية سنة ١٨٦٦م فى بيروت وهى الكلية التى تطورت فيما بعد وسميت بالجامعة الأمريكية سنة ١٩١٩م . وبعد إنشاء هذه الجامعة أنشئت جامعة الآباء اليسوعيين التى سميت بجامعة «الحبر الأعظم» . فكان يدرس بها الطب إلى جانب الدراسات اللاهوتية فى كلية للطب وأخرى للاهوت . وقد سميت هذه الجامعة فيما بعد جامعة «سان جوزيف» وأفتتحت سنة ١٩١٣م كلية للهندسة وأخرى للقانون . وكانت هذه الجامعة ذات صلة بجامعة ليون الفرنسية .

وفى مصر أنشئت الجامعة الأهلية سنة ١٩٠٨ وكان يدرس بها الآداب والعلوم . وقد تحولت إلى جامعة حكومية سنة ١٩٢٥ وأصبحت تعرف بإسم الجامعة المصرية . وهى جامعة القاهرة حاليا . وكانت تضم إلى جانب كليتى الآداب والعلوم كليتين للحقوق وأخرى للطب . وتوالت فى السنوات الأخيرة إنشاء الجامعات فى كل البلاد العربية . وهو ما سنفصل الكلام عنه فيما بعد .

الأصل التاريخى لبعض المفاهيم الجامعية :

إن اصطلاح جامعة University مأخوذ من كلمة Universitas وتعنى الاتحاد أو التجمع الذى يضم ويجمع أقوى الأسر نفوذا فى مجال السياسة فى المدينة من أجل ممارسة السلطة . وهكذا استخدمت كلمة «الجامعة» لتدل على تجمع الأساتذة والطلاب من مختلف البلاد والشعوب . وقد جاء هذا التجمع على غرار الاتحادات الصناعية والحرفية Guilds التى كانت تقوم بدور تعليمى هام فى العصور الوسطى وإمتد حتى العصور الحديثة . وكان لهذه الإتحادات معايير تعليمية عالية وإختبارات قاسية تعقد على فترات لتضمن أفضل أداء تعليمى . وكان هدف هذه الإتحادات

مهنيا تماما يقوم على أساس التخصص . وتوصلت إلى نظام نموذجى للتدريب تبنته الجامعات الأولى . وكانت لتنظيمات هذه الإتحادات أهمية كبيرة جدا بالنسبة للجامعات . وتعتبر الكلمة العربية «جامعة» ترجمة دقيقة للكلمة الإنجليزية المرادفة لها لأنها فى مدلولها العربى أيضا يعنى «التجميع» و «التجمع» . أما كلمة كلية College فهى مأخوذة من الكلمة اللاتينية Colegio وتعنى «القراءة معا» وقد استخدم الرومان الكلمة فى القرن الثانى عشر لتدل على مجموعات من الحرفيين والتجار . وقد ساعدت الاهتمامات العلمية المشتركة لأبناء الكلية الواحدة على تشكيلها على غرار أبناء الحرفة الواحدة . وقد استخدمت الكلمة «كلية» بمعنى College فى أكسفورد منذ القرن الثالث عشر لتدل على المكان الذى يجد فيه الطلاب المسكن والمأوى والمعيشة والتعليم معا . أما كلمة كلية بمعنى Faculty فهى مأخوذة عن الكلمة اللاتينية Facultas وتعنى القوة أو القدرة . وقد أطلقت أولا على أساتذة الآداب . وكان الأساتذة لا ينتمون إلى جامعة واحدة وإنما كانوا ينتقلون من جامعة لأخرى . وكان هناك أساتذة فى اللاهوت والآداب والقانون والطب . وانضم الأساتذة معا فى إتحاد واحد على غرار الاتحادات الصناعية والتجارية عندما وجدوا أن فى هذا الاتحاد قوة لهم وعرفت باسم الكلية ، وقد أنضمت هذه الكليات المتفرقة من الأساتذة فى إتحاد تحت قيادة كلية الآداب فى نهاية القرن الثالث عشر فكان ينتخب أستاذ من هذه الكلية ليتولى رئاسة الإتحاد فترة من الزمن . وهكذا كان الأساتذة يقسمون حسب الكليات كل كلية يرأسها عميد وكل الكليات تندرج تحت لواء جامعة واحدة يرأسها مدير علمى Rector منتخب من بين الأساتذة ومن بين الطلاب أحياناً . وكان رئيس الجامعة الإدارى Chancellor يمثل الكنيسة ويشرف على الإمتحانات ومنح الدرجات العلمية .

سمات الجامعات فى العصور الوسطى :

على الرغم من أن الجامعات المعاصرة تعتبر صورة قريبة من صورة الجامعات فى العصور الوسطى ، ومع أن الجامعات المعاصرة مازالت تحمل كثيرا من المعالم التى ورثتها من جامعات العصور الوسطى فإن هذه الأخيرة قد تميزت بسمات رئيسية عامة من أهمها :

١- **الفقر**: فقد كانت الجامعات فى العصور الوسطى فقيرة نظراً لأنها لم تكن تتلقى أية مساعدات مالية عامة أو خاصة. بل كانت تعتمد على التبرعات الخيرية التى يقدمها لها الملوك والنبلاء ورجال الدين . وكان آخرون يساعدونها فى صورة التبرع بالمخطوطات . وكان الطلاب يدفعون رسوما قليلة للجامعة تختلف بإختلاف المواد الدراسية . وظلت هذه الرسوم أهم مصدر لتمويل الجامعة . وكان الأساتذة فى البداية يحصلون على أجورهم مما يدفعه الطلاب لهم مباشرة من رسوم دراسية . ولم يكن الأساتذة أعضاء دائمين فى الجامعة كما أشرنا . وإنما كانوا ينتقلون من جامعة إلى أخرى . ولذلك لم تكن لهم مرتبات ثابتة وكانت الجامعات الاسكتلندية أولى الجامعات الأوروبية التى أدخلت النظام الدائم لأعضاء هيئة التدريس . كما كانت جامعة بولونيا فى إيطاليا أول جامعة بدأت منذ القرن الثالث عشر فى دفع مرتبات منتظمة للأساتذة حفاظا على كرامتهم من القيود المشينة التى كان يفرضها إتحاد الطلاب عليهم . ولم يكن للجامعات الأولى مبان خاصة بها أو معدات غالية . وإنما كان الأساتذة يحاضرون حيثما توجد حجرة خالية أو فى أى مكان خال . وفى باريس اعطيت كلية الآداب شارعا صغيرا لإستخدامه كمكان للدراسة يعرف الآن بالحى اللاتينى .

٢- **الحرية**: كانت الجامعات منذ نشأتها تتمتع بقدر كبير من الحرية والإستقلال . وكانت بعيدة عن سلطة رجال الدين أو رقابة الدولة على الرغم من أن السلطات الدينية كانت تتابع أعمال هذه الجامعات . وكانت هى التى تمنحها الإمتيازات بل وتعطيها حق الترخيص . وربما يفسر هذا مدى الحرية التى تتمتع بها الجامعات المعاصرة لدرجة أن داخلها يعتبر «حرمة» . ومن دخل الحرم الجامعى كان آمنا . وتعتبر الحرية الأكاديمية سمة مميزة للجامعات ، وظلت هذه الحرية الأكاديمية سمة مميزة للجامعات على مدى تاريخها الطويل . وتعنى هذه الحرية الأكاديمية ببساطة أن هيئة التدريس فى الجامعة تتمتع بحق تدريس ما تعتبره صحيحا وأنه ليس هناك قيود على ما يقوله الأستاذ أو ما يكتبه أو ما ينشره . ويرتكز هذا الحق على قدسية الحقيقة من ناحية ومسؤولية الدارس فى معرفة هذه الحقيقة دون أى قيود من ناحية أخرى . لقد نشأت الحرية الأكاديمية قديما عن محاكمة سقراط وإدانته فى أثينا مع أن

السفسطائيين لم تكن لهم أية أخوة أكاديمية تربط بينهم فى ذلك الوقت . ومع أن سقراط لم يطالب بالحرية الأكاديمية فإنه أعطى خير نموذج لها وطالب بحق الإنسان فى إتباع أوامر ضميره . وللحرية الأكاديمية ضوابطها بالطبع إلا أنها ضوابط من داخل المجتمع الأكاديمى نفسه وهو مجتمع يشعر كل فرد فيه بأنه محاسب أمام زملائه على ما يقول .

وقد تمتعت جامعات العصور الوسطى بعدة ميزات دعمت من حريتها وإستقلالها . وقد تضمن ميثاقها هذه الميزات التى كان من أهمها حرية الأساتذة والطلاب فى التنقل دون أية مضايقات أو قيود من جانب الحكومة وكذلك حمايتهم ضد أي عنف . وتضمن أيضا حق الأساتذة والطلاب فى أن يكون لهم محاكم جامعية خاصة بهم لمحاكمتهم وتأديبهم . وهى ميزة ظلت تتمتع بها الجامعات حتى عصرنا الحاضر . كما أنها كانت ميزة ساعدت جامعات العصور الوسطى على أن تكون مستقلة بدرجة كبيرة عن سلطان رجال الدين والدولة معا . وهناك ميزة ثالثة هى حق خريجى الجامعة فى التدريس فى أى مكان . وهكذا اعتبرت الشهادة الجامعية ترخيصا بالعمل فى التدريس . بل إن كلمة الليسانس تعنى فى أصلها الرخصة أو الترخيص . والميزة الرابعة هى إعفاء الأساتذة والطلاب من الضرائب لاسيما على أملاكهم الخاصة وكذلك إعفاؤهم من الخدمة العسكرية والتجنيد الإجبارى .

٣- **العلمانية** : كانت الجامعات والمهن المختلفة تخضع إلى حد كبير إبان العصر المسيحى فى أوروبا لإشراف ورقابة الكنيسة . وكان البابا هو الذى يمنح الدرجات العلمية فى المهن المختلفة . وكان هدف التربية تكوين الفرد الذى يتبع تعاليم الرب كما وردت فى الإنجيل وحسب تفسير الكنيسة الكاثوليكية لها . ومع بداية حركة الإصلاح الدينى بدأت رياح التغيير وبدأت الجامعات تمنح درجاتها العلمية بدلا من البابا لكن فى إنجلترا ظلت الكنيسة تسيطر على التعليم فى البلاد وكان كبير الأساقفة (أسقف كانتربرى) هو الذى آلت إليه سلطة البابا فى منح الدرجات العلمية. وكانت الديانة الإنجليكانية شرطا للالتحاق بجامعة اكسفورد وكمبريدج منذ بداية حركة الاصلاح فى مطلع القرن السادس عشر حتى القرن التاسع عشر . وكانت المدارس الخاصة المعروفة بإسم Public Schools ذات طابع مسيحى انجليكانى فى

الغالب وبدأت الجامعات بالتدريج تأخذ طابعها المدنى العلمانى لاسيما التى أنشئت حديثا منها . وأصبحت تستهدف تحقيق أهداف مدنية ودنيوية والاعداد للمهن المختلفة المدنية والدينية . كما أنها اجتذبت أساتذة من غير رجال الدين .

٤- العالمية : كانت جامعات العصور الوسطى ذات طابع عالمى فقد كانت تضم أساتذة وطلابا من مختلف الشعوب والأقوام . وكان الطلاب وأحيانا الأساتذة يقسمون إلى مجموعات حسب دولهم ومكان ولادتهم . وكان هؤلاء الطلاب الغرباء من مختلف الجنسيات التى وصلت أحيانا إلى سبع جنسيات يسببون مشكلات كبيرة للمسؤولين نظرا لأنهم وفدوا وهم يحملون معهم عاداتهم وثقافتهم الخاصة بما فيها مواسمهم وأعيادهم وفنون طربهم ولعبهم . وقد عرف الأزهر نظاما مشابها عندما كان الطلاب الذين يدرسون فيه يقسمون على أروقة كل رواق يضم الطلاب من بلد واحد فكان هناك رواق الشوام ورواق المغاربة وهكذا . وربما أن هذا النظام أخذته جامعات العصر الوسيط عن الأزهر كما أخذت عنه «جبة» الشيخ وهو الروب الجامعى والمقعد الذى كان يجلس عليه وأصبح كرسى الأستاذية .

هدف الجامعات ومناهج دراستها :

كانت الجامعات فى العصور الوسطى تعد الأفراد للمهن المختلفة فى الطب والقانون واللاهوت والتدريس . واعتمدت مناهج جامعات العصر الوسيط على حصاد الفكر العربى . وكانت مؤلفات العلماء العرب فى مختلف الفروع والميادين مراجع للدراسة بهذه الجامعات لقرون طويلة . وكانت الدراسة الجامعية تقوم على التنظيم الرباعى الذى يشمل الآداب والقانون واللاهوت والطب . وهو تقسيم تحكم فى تنظيم الجامعات فيما بعد لفترة طويلة . وكان وضع الآداب أقل فى المستوى لأنه كان على الطالب أن ينهى دراستها قبل أن يلتحق بالكليات الثلاث الأخرى الأعلى فى المستوى . وكانت الدراسة فى الآداب تشمل النحو والفلسفة والمنطق والخطابة والرياضيات والميتافيزيقا والفلسفة الأخلاقية والطبيعية . وكانت الفلسفة الطبيعية تشمل الطبيعة والفلك والحيوان والنبات وعلم النفس . وكان هذا المنهج مطلوبا من كل طالب يريد الحصول على الدرجة الجامعية فى الآداب . وكانت سلطة أرسطو على المنهج الجامعى سلطة نهائية بالنسبة لكل الموضوعات التى كتب فيها . وكانت مدة

دراسة الآداب تتراوح بين أربع وسبع سنوات مقسمة إلى قسمين أو ثلاثة كل منها يؤدى إلى درجة أو شهادة أكاديمية رسمية . وكان الطالب الذى ينهى المقرر كله بنجاح يمنح فى النهاية درجة الماجستير Master's Degree . ومنذ بداية القرن الرابع عشر كان يشترط للقبول بدراسة الآداب أن يكون الطالب قد أنهى مدرسة النحو وهى المدرسة الأكاديمية (الثانوية) . كما كان عليه أن يجتاز إمتحانا للقبول بالجامعة . وهو أمر كان شائعا فى القرن الرابع عشر . وبعد إنهاء الدراسة الجامعية كان الخريج يستطيع أن يعمل مدرسا بالجامعة إذا وجد طلابا له . وفيما بعد أضيفت شروط تأهيلية أخرى . كما كان الخريج يستطيع أن يعمل قسيسا إذا وجد أسقفا يحتضنه أو موظفا بالخدمة المدنية إذا وجد من يوظفه أو يواصل دراسته ليدرس اللاهوت أو الطب أو القانون . وهذا يعنى أن دراسة الآداب كانت تعتبر شرطا لمواصلة الدراسة فى هذه الميادين . وكانت دراسة اللاهوت أطول الدراسات لأنها كانت تصل إلى ثمانى سنوات للحصول على درجة دكتور فى اللاهوت . أما دراسة الطب والقانون فكانت تتراوح بين خمس وثمانى سنوات .

أساليب الدراسة :

سبق أن أشرنا إلى أن الجامعات الأولى لم يكن لها مبان خاصة بها . وكانت أساليب التدريس المتبعة فى جامعات العصور الوسطى تقوم على طريقة المحاضرة والإملاء والمجادلة والمناقشة المنطقية . وكانت الكتب قليلة ولذا كان الطلاب يعتمدون غالبا على المذكرات والملخصات التى يدونونها فى المحاضرات . ويقومون بحفظها . وقد قرر أساتذة باريس سنة ١٣٥٥م إستخدام طريقة المحاضرة البطيئة التى تشجع الطلاب على تدوين المذكرات وأصدروا أمرا إلى أساتذة الفلسفة بألا يستخدموا طريقة المحاضرة السريعة وإلا تعرضوا لحرمانهم من التدريس والإمتيازات الجامعية لمدة عام . وفى سنة ١٣٦٦م حرم على الأساتذة أن يقرأوا محاضراتهم أو أسئلتهم من مذكرات مكتوبة وإن كان يسمح لهم بوضعها على المنضدة أمامهم لمساعدتهم على تذكر النقاط الرئيسية للموضوع . وكان الأساتذة يجلسون على منضدة مرتفعة عن الأرض أما التلاميذ فكانوا يجلسون على كراسى أو مكاتب . وفى سنة ١٣٦٦م ظهرت قاعدة حديثة بموجبها كان على طلاب الآداب فى باريس أن يجلسوا على

الأرض وذلك حتى تنتزع من نفوسهم نزعة الغرور . وكانت تتبع فى الجامعات أساليب مختلفة لحفظ النظام بين الطلاب منها اللوم والفصل والسجن بل والعقاب الجسمى أحيانا .

إدارة الجامعات :

إختلفت إدارة الجامعات الأولى فيما بينها من بلد لآخر ، ومن جامعة لأخرى . وكان هناك دائما صراع بين الذين يدعون السلطة على الجامعة . وقد تنازع السلطة الأساتذة والطلاب . ففى إيطاليا وجنوب أوروبا كانت السلطة فى يد الطلاب . أما فى باقى أوروبا فكانت السلطة فى يد الأساتذة . وفى بعض الجامعات كان الطلاب يوقعون العقوبات على الأساتذة إذا خالفوا القواعد التى وضعها الطلاب ومن بينها التأخير عن المحاضرات . بيد أن التطلع إلى فرض السلطة على الجامعات جاء من جانب السلطة الدينية فى الوقت الذى لم تظهر فيه السلطة المدنية إلا رغبة قليلة فى حرمان الجامعات من إستقلالها الذاتى . ونحن نعلم أن الإشراف على مدارس الكاتدرائيات كان فى يد الأساقفة المحليين ومساعديهم الذين كانوا أنفسهم نظار هذه المدارس . ومع أن بعض الجامعات كما هو فى اسكتلندا مثلا أنشئ بواسطة الأساقفة المحليين فأن كثيرا من الجامعات حرصت على إستقلالها عن سلطة رجال الكنيسة المحليين على أساس أن هذه الجامعات تستمد وجودها وإمتيازاتها من الباب أو الإمبراطور أو الملك وليس من الأسقف المحلى .

وعلى كل حال فإن مراقب الجامعة أو المدير الإدارى لها باعتباره ممثلا للأسقف المحلى حظى بنفوذ أكبر فى الجامعات التى كان يعين فيها من قبل الأسقف . وإن كان فى بعض الجامعات كأكسفورد مثلا كان هذا المدير الإدارى ينتخب بواسطة الأساتذة وعندها لم يكن يتمتع بأى سلطة كنسية على الجامعة وإن ظل محتفظا بنفسه كرجل للكنيسة . وكانت وظائفه تحددها قوانين الجامعة وهى قوانين ملزمة للأساتذة والطلاب والموظفين على السواء . وكان الإتجاه فى كل الجامعات نحو تقييد سلطة المدير الإدارى . ومع مطلع القرن السادس عشر كانت أهم الوظائف التى تركت له عمل الترتيبات للإمتحانات ومنح الشهادات للخريجين . ومنذ ذلك التاريخ أصبح للأساتذة السلطة العليا فى إدارة الجامعة وكانوا قادرين على تحدى أى سلطة أو

تدخل فى شؤون الجامعة من جانب السلطات الدينية أو المدنية أو المحلية . بل إن الصراع ضد هذه السلطات عمل على توحيد الجامعة وبالتالى قوى من نفوذها . بيد أن تهديد استقلال الجامعات الأولى جاء من جانب السلطات المحلية أكثر من كونه من جانب الباباوات أو الأباطرة . ففى بولونيا أثار الطلاب هذا التهديد بأعمالهم التى أدت إلى قيام السلطات المدنية بدفع رواتب الأساتذة . ولكن مع هذا تركت هذه السلطات الجامعية تتمتع بحريتها . وفى جامعة باريس نجد أن البابا وقف بجانب الأساتذة فى خلافهم ضد المدير الإدارى والأسقف . إلا أن ما تمتعت به الجامعات من استقلال وحرية إنتهى فى عصر ما يسمى بالإصلاح الدينى عندما تسلط الملوك ورجال الكنيسة على الجامعة واستولوا على السلطة من الأساتذة وحولوا الجامعات لخدمة الدولة والكنيسة فى العالم الكاثوليكى والبروتستانتى على السواء .

الإمتحانات والدرجات العلمية :

لم تكن الدرجة الجامعية الأولى التى نعرفها الآن وهى درجة الليسانس أو البكالوريوس معروفة فى البداية فى الجامعات فى العصر الوسيط . وإنما كانت الجامعات تمنح درجة الماجستير أو الدكتوراه لمن يتم دراسته بها وكانت درجة الدكتوراه تمنح من الكليات الممتازة . وقد ظهرت درجة الليسانس والبكالوريوس عندما سمح للطالب الذى قضى أربع أو خمس سنوات فى الدراسة بأن يحاضر لعدة سنوات قبل تخرجه . فكان هذا المحاضر يلقب بإسم Bachelor . وهو لقب كان يحمله الشباب من الفرسان الذين يعملون فى خدمة الفرسان الأكبر منهم . ومع الزمن أصبح على هؤلاء المحاضرين أن يجتازوا امتحانا رسميا لاختبارهم ومن ينجح منهم كان يعطى لقب Bachelor . وكان الامتحان عبارة عن مناقشة بين الطالب وأساتذة إلى جانب إمتحان فى كتب معينة بواسطة لجنة من الممتحنين . هذا بالإضافة إلى رسالة علمية يقدمها ويدافع عنها دفاعا طويلا مفصلا ضد خصومه ومعارضيه . وكان الطالب العادى ينهى دراسته للدرجة الجامعية الأولى فى سن ١٩ تقريبا . وهى سن تعتبر صغيرة بالنسبة لزميله خريج الجامعات المعاصرة .